المصطلحات العلمية والألفاظ العربية (*)

كلما تناول أحدنا معجماً علمياً باحدى اللغات الأوربية الكبيرة ، وأخذ يقلب صفحاته التي لا تحصى ، يهوله ما تحويه تلك الصفحات في طياتها من آلاف الألفاظ في العلوم والمخترعات الحديثة ، ويروعه أن تكون لغتنا العربية خلواً منها أو من معظمها ، ويشوقه أن يظل الناطقون بالضاد صادفين عن الأخذ بيد هذه اللغة المباركة ، لاهين عن جعلها تتسع لعلوم هذه الأيام ، كما اتسعت لعلوم الاقدمين في السنين الخوالي .

وإذا ماتحدثت في هذا الأمر مع الذين درسوا العلوم الحديثة بلغة أجنبية يجيبك جمهورهم بانهم يائسون من صلاح لغتنا للأغراض العلمية في عصر الناس هذا ، فهي اذن على مايرون مقضي عليها إن عاجلاً وإن آجلاً . لكنك اذا استقصيت بواعث هذا الاعتقاد القائم فيهم رأيتها تنحصر في شيئين : الأول جهلهم أسرار اللغة العربية ومكامن الحياة فيها ، والثاني قلة ثقتهم بكفاية من جعلوا أنفسهم أو جعلتهم السياسة قوّامين على هـذه اللغة أفرادا كانوا أو جماعات أو حكومات .

فالجهل بوسائل النمو في اللغة العربية ليس معناه فقدان هذه الوسائل فهي موجودة يعرفها كل من جدّ في طلبها . وهي كامنة في اللغة ، لكنها تحتاج الى من يثيرها من مرقدها ، ويبعث فيها الروح ، فتعود الى الحركة ، وتعود العربية معها الى الحياة . ويتضح من ذلك أن السر في جمود لساننا ليس منبعثاً عن قصور هـذا اللسان ، بل عن تقصير أبنائه ، وعن اهمال

(*) محاضرة ألقاها الأمير مصطفى الشهابي في أوائل عام ١٩٣٤ .

الحكومات التي تتكلم به . وقبل اثبات هذا الاهمال وذلك التقصير لابد لنا من ذكر أهم حاجات لغة الضاد . وذكر الذين يمكنهم أن ييسروا لها تلك الحاجات . فما تحتاج اليه العربية قبل غيره أصبح شيئاً معروفاً ، لكثرة لوك الألسنة له ، ووفرة سيلان الاقلام به على القراطيس . وخلاصته ايجاد ألفاظ عربية أو معربة لابحاث العلوم العصرية ، والمخترعات والمصنوعات والأدوات الحديثة ، وهي آلاف مؤلفة من الألفاظ . ولابد لمن يتصدون لوضع هذه الألفاظ من أن يجمعوا بين أمور ثلاثة أولها الاختصاص بعلم أو بفن وبممارسته نظرياً وعملياً . وثانيها التغلغل في سرائر اللغة العربية ولاسيما فيما يتعلق بذلك العلم أو ذلك الفن . وثالثها اتقان لغة واحدة على الأقل من لغات أوربة الغنية بالعلوم والفنون . ولقد قلت في المجلد الثامن من مجلة المجمع العلمي العربي انه اذا فقد شرط واحد من هذه الشروط الثلاثة فقدت معه معظم الفوائد التي ترجى ممن يودون اصلاح لغة الضاد والعمل في احيائها بايجاد الالفاظ اللازمة للعلوم والفنون والمخترعات الحديثة .

واذا أنعمنا النظر في معظم مواهب علمائنا واستعرضناهم واحداً واحداً ، نجد هذا فقيهاً باللغة العربية ، علماً بصرفها ونحوها وبيانها وبديعها وعروضها ، لكنه يجهل حتى مبادىء العلوم الحديثة التي يتعلمها الصبيان في المدارس . وذاك قد درس العلوم وأتقنها بلغات اجنبية ، لكنه لم يحفل بلغته ، ولم يصمد لمدارستها ، فظلت صلته بها متراخية . وثالث حصل على الشروط الثلاثة التي ذكرتها ، لكنه اغتر بنفسه وحمّلها فوق طاقتها ، فراح يصنف معجماً أعجمياً عربياً في مختلف العلوم ، ويضع الألفاظ العربية جزافاً ، وهو يخبط في ذلك خبط عشواء ، وقـد فاته أن عمر الانسان أقصر من أن يحيط بعلم واحد من العلوم الحديثة ، وان العالم المحقق ربما أفنى زهرة عمره في تحقيق ألفاظ هذا العلم دون أن يستوفيها كلها . ولهذا لابد لمن يجشم نفسه

وضع المصطلحات العلمية باللغة العربية من أن يقتصر في عمله على الألفاظ المتعلقة بعلم اختص به واطلع على دقائقه .

وقبل أن أبحث عن السبل التي يجب أن نسلكها في وضع الالفاظ العربية للمصطلحات العلمية يفيد أن أذكر كيف اهتدى الاوربيون إلى آلاف الكلمات التي أضافوها الى لغاتهم ، وماهي الطرق التي ساروا عليها لبلوغ هذا الهدف . ولنتمثل بأسماء النباتات ، لأن في حديثها لذة ، ولانه جرت مراسلات فيها لا تخلو من فكاهة وفائدة بيني وبين المسيو غانيوبان أحد علماء النبات الاختصاصيين في متحف المواليد الفرنسي في باريس ، وهو صاحب معجم مخطوط في أصول أسماء الاجناس النباتية وله رأي قويم يتعلق بوضع هذه الاسماء .

تسمية النباتات :

لنفرض أن عالماً نباتياً رحل الى مجاهل أفريقية ، أو فيافي الجزيرة ، أو سهول الصين الفسيحة ، يلتقط الاعشاب ويتعرف اليها ، حتى اذا عثر على نبتة لا يعرفها ، راح يدرس تحليتها أي صفاتها النباتية ، فاذا بها مما لم يدرسه أحد قبله ، فالنبتة اذن جديدة عند النباتيين ، وعليه اذن يضع لها اسماً جديداً . وأول اسم يتبادر الى ذهنه اسم نفسه ، تنويهـــاً به وتخليداً له ، جزاء ما يلقاه ذلك العالم من النصب في عمله الشاق . وهذا شيء مستملح لا غبار عليه البتة ، وليس بامكان أحد أن يستقبح ايثار النفس على الغير في مواضيع كهذه . لكن صاحبنا النباتي له اسم واحد ، فاذا أطلقه على العشبة الاولى التي كان أول موجد لهـا ، فبماذا يسمي النباتات الاخرى التي يعثر عليها ، وقد تكون كثيرة تعد بالعشرات ؟ وهنا يجول في خلده تسمية النبات باسم الاقليم أو الكورة التي وجده فيها ولكن أسماء الكور في الشرق الأقصى أو لدى زنوج أفريقية كثيراً

ما تكون ثقيلة على السمع ، لتنافر مخارج حروفهـــا ، أو لغير ذلك من الاسباب . فيعنّ على باله اطلاق اسم أحد العلماء على ذلك النبات ، فيستعرض أسماءهم ، فيرى أن كلاً منهم قـــد نسب اليه نبات من النباتات ، من قبل أحد النباتيين الذين تقدموه ، ولهذا يقف صاحبنا يائساً من ايجاد اسم لعشبته في هذه الناحية أيضاً ، فيتجه الى نواح أخرى أهمها درس صفات العشبة المذكورة في أوراقها أو أزهارها أو غير ذلك من أعضائها ، حتى إذا وجد في احدها صفة بارزة سمى العشبة باللفظة اليونانية التي تدل على تلك الصفة . وهكذا يظن النباتي أنه أوجد اسماً جديداً لجنس النبات الذي عثر عليه . لكنه كثيراً ما يتفق أن أجناساً نباتية أخرى تكون حائزة على الصفات نفسها ، وأن أحد علماء النبات كان أطلق اللفظة اليونانية المذكورة على جنس نباتي آخر ، فيرجع صاحبنا بالخيبة ، ويعود الى التفتيش عن صفات بارزة أخرى في عشبته ، أو يطرق أبواباً لم يطرقها بعد ، كتسميتها باسم أحد الآلهة الأقدمين ، أو بالاسم الذي يعرفها به أهالي تلك البلاد ، أو بالصفة الدالة على أهم ما فيها من الخواص الطبية أو الصناعية الخ .

ويتضح مما مرّ ذكره أن أحد علماء النبات منذ القرن السابع عشر الى اليوم قد لقوا عرق القربة من وضع أسماء علمية لأجناس النباتات العديدة ، فلا غرابة اذن أن يجيء بعض هذه الاسماء ثقيلة على الاسماع اذ ليس كل نبات يدعى حنطة أو شعيراً أو تفاحاً أو رماناً ، بل هنالك ألوف من الاجناس ومئات الالوف من الانواع والاصناف النباتية ليس لها أسماء حتى في أرقى اللغات الاوربية . ومن المستحيل أن تجيء كل الألفاظ التي توضع للدلالة عليها خالية من كل شائبة . والحال واحد في كثير من العلوم الاخرى كعلم الحيوان والجيولوجية والمعدنيات والطب والحشرات والآلات الزراعية والصناعية وغيرها فهي كلها تحتاج الى وضع آلاف مؤلفة من الاسماء العلمية

التي تسمو عن متناول العامة ولا يحفظها سوى الخاصة من الناس .

ونلخص حديثنا عن الطرائق التي اتبعها العلماء المشّائون في وضع أسماء علمية لاجناس النبات بالامور الآتية : الأول تسمية النبات باسم الذي كشف عنه كقولنا لينية وفورسكالية فهما نباتان منسوبان الى النباتيين المشهورين لينيوس وفورسكال . والثاني نسبة النبات الى المدينة أو الكورة أو الاقليم حيث تكون منابته الطبيعية كلفظة أدينيا فهي من عدن العربية وقد وضعها فورسكال للدلالة على نبات وجده في عدن . والثالث الاحتفاظ بالاسم الذي عرفه القدماء كاليونان والعرب ، مثل كوفية فهي من القهوة ، وبستاسية من الفستق ، وموزا من الموز ، وكلها مأخوذة من العربية . والرابع نسبة النبات الى أحد العلماء أو الملوك أو الحكام المشهورين ممن أحبوا المشائين وعطفوا عليهم وأعانوهم في أعمالهم الشاقة مثل درونية فهي منسوبة الى العلامة درون الشهير وكوبرنيكية فهي نخلة نسبوها الى الفلكي كوبرنيك وهكذا . والخامس نسبة النبات الى أحد آلهة الاقدمين من يونان ورومان وغيرهم ، مثل مركوريالس فهي منسوبة الى مركور إله الفصاحة والتجارة عند اليونان ، وأبولونيكا فهي باسم أبولون إله الشعر والصنائع النفيسة وغيرها عند اليونان والرومان ، وباسيفلورا أي زهرة الآلام (يسمونها الساعة في دمشق) فهي تدل على آلام المسيح ، لأن زهرة هذا النبات تشبه خشبة الصليب ومسامير العذاب . وسماها الدمشقيون « ساعة » تشبيهاً لها بميناء الساعة وعقربيها . والسادس تسمية النبات بالنعوت الدالة على بعض خواصه الطبية أو الصناعية أو غيرها ، مثل بلموناريا ومعناها عشبة الرئة لأنها تستعمل في بعض أمراض الرئة . ومثل ماتريكاريا ومعناها عشبة الرحم لأنهم كانوا يستعملونها في أمراض الرحم . والسابع الاحتفاظ بالاسم الذي يطلقه سكان البلاد الاصليين على النبات المبحوث عنه ، مثال ذلك التسوغة وهي لفظة يابانية تدل على شجرة مشهورة من أشجار الفصيلة

الصنوبرية . ومثل سيكويا وهي تطلق في كليفرنية على الشجرة الجبارة المنسوبة الى الفصيلة الصنوبرية أيضاً . والثامن الرجوع الى صفة بارزة من صفات النبات وتسميته باللفظة اليونانية التي تدل على تلك الصفة . وهذا الشكل في وضع الاسماء هو الاعم . مثال ذلك النبات أسبيدسترا من الفصيلة الزنبقية ، فهو مبذول في بيوت دمشق ، وأراه أمامي وأنا أكتب هذا البحث . فهذه اللفظة معناها الدُّرَيقة أي الترس الصغير ، لأن لزهرته ميسماً لحمياً غليظاً على شكل قبعة مستديرة محدبة تغطي الزهرة كغطاء القدر . ولنتمثل أيضاً بنبات ثانٍ تمثل به صاحبنا العالم النباتي الفرنسي الذي ألمعت اليه وهو النبات المسمى أكريدوكربوس ، فان هذه اللفظة مركبة من لفظتين يونانيتين ، معنى الاولى جرادة ومعنى الثانية ثمرة . فترجمة الاسم العلمي اذن عشبة الثمرة الجرادية أو الجرادية الثمرة . وفي الحقيقة اذا ألقى الانسان نظرة على ثمرة هذا النبات رآها تشبه جرادة طائرة مبسوطة الجناحين . وأسماء النباتات التي وضعت على هذه الطريقة تعد بالالوف ، ولهذا يقولون ان اليونانية واللاتينية هما للغات الأوربية معين لا ينضب . ولهذا أيضاً ترى علماء النبات يشعرون بماهية النبات أي يدركون تحليته من تلاوة أسمه . والعكس بالعكس ، أي اذا كان النباتي قديراً في صنعته يدرك من نظرة يلقيها على نبتة من النباتات أهم صفات تلك النبتة ، كما يدرك الاسم الذي يجب أن يكون قد وضع لها . والتاسع اتباع طرق شاذة في وضع أسماء النباتات ، كأن يكون النبات منسوباً الى أحد العلماء لكن اسم هذا العالم طويل ويصعب التلفظ به ، فيحرفونه ويختصرونه حتى يسلس على اللسان ، ويرن جيداً في الاذن . وكأن يبدلوا مكان الحروف في اسم أحد النباتات ، أي يستعملوا القلب المعروف في اللغة العربية ، ويخلقوا على هذا الشكل اسماً جديداً لنبات جديد . ومما يتفق لهم أيضاً أن يضيق العالم بالأمر ذرعاً فيضع للنبات اسماً لا معنى له كلفظة لوازا الدالة

على زهرة معروفة ، فانها لامعنى لها ، وقد ركبها أدنسون من حروف وردت على خاطره عفواً .

النقل الى العربية :

أما وقد عرفنا كيف وضع العلماء الاوربيون أسماء لذلك العدد العظيم من النباتات أصبح من السهل علينا استنتاج السبل التي يجب أن نسلكها في وضع ألفاظ عربية أو معربة لها . واذا أنعمنا النظر في قائمة أجناس النباتات نجد أن فيها عدداً عرفه أجدادنا ووضعوا له أسماء عربية ، أوعربوا أسماءه اليونانية أو الفارسية أو السريانية ، كما نجد أيضاً أن فيها عدداً لم يعرفوه .

فالقسم الأول ندع ألفاظه العربية أو المعربة على حالها ، ونستعملها كما وردت في المعجمات وفي كتب العشابين والزراعين والاطباء كابن البيطار والغافقي والادريسي وابن سينا وابن العوام وغيرهم بعد التثبت من صحة اللفظة ، لأن النساخ وعمال المطابع كثيراً مايعبثون فيها .

أما القسم الثاني فهو الأهم ، بل هو بيت القصيد ، لأن ماجهله أجدادنا من النباتات يبلغ أضعاف ماعرفوه منها . في هذا القسم أرى أن نسير في وضع الأسماء للمسميات على الطريقة الآتية وهي : أولاً أسماء الاجناس النباتية المنسوبة الى أفراد من الناس (علماء وملوك وحكام وغيرهم) أو الى آلهة القدماء ، فهذه يجب أن تعرّب اما بان تترك على حالها ، واما بان تجعل بصيغة النسبة . مثال ذلك شجرة مكلورة فهي منسوبة الى المواليدي الاميركي المسمى مكلور . ولذلك نسميها مكلورة كما هي اللفظة العلمية أو مكلورية بصيغة النسبة . ولا يجوز لنا أن نعبث بتلك اللفظة واشباهها ، لانها انما وضعت للتنويه بأسماء العلماء وأصحاب السلطان من محبي العلوم ، ومن حق هؤلاء على الناس أن لاتضيع أسماؤهم ، عملاً بارادة النباتيين الكاشفين الذين سموا النباتات بتلك الاسماء . لكنه من البداهة انه إذا

كان يوجد في لساننا لفظة عربية فصيحة تدل على نبات لفظته العلمية منسوبة إلى أحد العلماء ، فمن واجبنا في هذه الحال ترجيح اللفظة العربية . ومن الأمثلة على ذلك البقلة التي نطلق عليها اسم المكثوب فان الاسم العلمي الذي يدل على جنس هذا النبات هو غونداليا . وهي كلمة محرفة عن اسم الطبيب الالماني غوند لشيمر . فنحن لسنا بحاجة الى تعريب الكلمة العلمية المذكورة مادام يوجد لدينا كلة عربية ترادفها .

ثانياً : أسماء الاجناس النباتية المنسوبة الى مدينة أو كورة أو اقليم ، فهذه أيضاً لابد من استبقائها على حالها ، أو جعلها بصيغة النسبة ، شريطة أن نرسم الاسم كما يرسمه العرب ، فيقال عدني لا أدني للنبات الذي يسمونه أدنيا وهكذا .

ثالثاً : أسماء الأجناس النباتية الموضوعة بلسان سكان البلاد التي عثروا فيها على تلك النباتات . فهذه أيضاً يجب أن نعربها ولنا أسوة في اللسان العلمي وفي جميع الالسنة الاوربية الكبيرة .

رابعاً : أسماء الاجناس النباتية الدالة على صفة بارزة من صفات النباتات . فهذه الاسماء (وعددها هو الاكبر) تترجم الى العربية بمدلولات معانيها ، فيقال اذن الدب للنبات المسمى أركتوتيس وزهرة الرمال للنبتة المسماة أرناريا وشجرة البهاء للشجرة التي تدعى كالودندرون الخ . وليس من المناسب على ما أرى تعريب هذه الألفاظ العلمية خلافاً لما شاهدت في بعض الكتب والمعاجم العلمية العربية ، لأن تعريب هذه الاسماء أي نقلها الى العربية على حالها يدل على أن الناقل يجهل معناها الأصلي ، أو على أنه لم يجشم نفسه تحري هذا المعنى اثناء النقل . وهو ملوم في الحالين .

وهنا أصل إلى مسألة لم أتعرض لها بعد في هذا البحث ، وهي أن اسم النبات العلمي يكون في العادة مركباً من لفظتين الاولى تدل على الجنس والثانية تدل على النوع . فكل ماأوردته الى الآن يتعلق باللفظة الدالة على الجنس وهي المهمة . أما اللفظة الدالة على النوع فانه يكون لها معنى في

معظم النباتات ، ولهذا يجب علينا أن نترجم هذا المعنى الى العربية ، لا أن نفعل كما فعل بعض أصحاب المعاجم العلمية الذين اكتفوا بتعريب لفظة النوع جهلاً منهم بمعناها . مثال ذلك كمبانولا ربانا ومعناها الجُرَيس الملتحي . فلفظة كمبانولا تدل على الجنس ، وقد ترجمناها بمدلولها وفاقاً لما مر ذكره . ولفظة ربانا تدل على النوع وهي صفة معناها الملتحي ، فلا يجوز أن نعربها بل ينبغي أن نترجمها بلفظة الملتحي . وهكذا في كل الالفاظ الدالة على النوع ، فنقول الجريس النبيل والجريس المجتمع الزهر والجريس الكبير الورق والجريس الخذروفي الخ .

واللغة العربية تتسع لكل الاسماء التي لها معان من هذا القبيـــل . والدليل على ذلك أني أوجدت في « معجم الالفاظ الزراعية » نحو ألفي لفظة عربية تدل على نباتات زراعية ما كان يعرفها أجدادنا وليس لها أسماء في لغتنا (١) . وقد نشرت قسماً صغيراً من هذه الألفاظ مع مرادفها من الألفاظ العلمية في رسالة أسميتها الرسالة النباتية طبعها مجمعنا العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٣٢ .

أما الاسماء الدالة على الصنف (أي الضرب) النباتي فعددها كبير جداً . ويندر وجودها في المعاجم ، وهي توجد في كتب الأزهار والاشجار والكتب الزراعية والنباتية المهمة . واذا كان للكلمة التي تعبر عن الصنف معنى من المعاني القابلة للترجمة ، ترجمناها بمعناها ، والا تركناها على حالها ، أي عربناها اضطراراً ، كما يفعل الاجانب عندما ينقلون الى لغاتهم أصناف بلادنا ، فهم يقولون مثلاً قمح حوراني وبلدي ونوربي ، وعنب داراني وزيني وقاسوفي ، تاركين ألفاظ الصنف (أي الحوراني الخ . .) على حالها .

(١) طبعت معجمي المذكور في سنة ١٩٤٣ بدمشق . وهو يحتوي على نحو تسعة آلاف لفظ في مختلف العلوم والفنون الزراعية .

وقد ازداد عدد الاصناف النباتية ، ولاسيما الزراعية منها ، حتى عجز أرباب الزراعة المشتغلين بايجاد الاصناف الجديدة عن ابتكار أسماء لها . لذلك تراهم أحياناً يرقمونها بارقام تدل عليها ، أو ينسبونها الى أشخاص من أقاربهم أو أصدقائهم أو صديقاتهم أو حبيباتهم . وربما سموهـــا باسماء خيلهم او كلابهم أو حقل من حقولهم أو مكان يمثل ذكرى من ذكرياتهم وهكذا . وإذا أردتم أمثلة على ماذكرت راجعوا مئات الاصناف من الورد أو البغونيا أو الأقحوان أو غيرها من الأزهار والرياحين ، وأصناف الكرم وشجر التزيين ولا سيما الهجن الاميركية من الكروم المستعملة مطعّمة لاتقاء أضرار حشرة الفيلكسرة المشهورة .

وجوه الاعتراض وردها :

هذا مجمل في أجناس النباتات وأنواعها وأصنافها ، وفي كيفية نقل كل منها الى العربية . ورب معترض يقول كيف ندخل على لساننا هـذا الجيش الجرار من الاسماء المعربة لنباتات منسوبة الى أشخاص أو الى كوَر ، وقد تكون تلك الاسماء ثقيلة على السمع أو خارجة عن الأوزان العربية ؟ فنجيبه بان بعض الالفاظ المعربة قديماً ، ومنها ماورد في القرآن نفسه ، لا أوزان عربية لها كلفظ ابراهيم وابريسم وخراسان واطريفل الخ . فلم يمنع ذلك أجدادنا من أخذها وادخالها في لسانهم . وقد ذكر أهل اللغة أن المعربات لا يشترط فيها أن تكون على الأوزان العربية ، لكنه لا بأس بتشذيبها حتى تستوي على نهج كلام العرب واسلوبهم . أما أن يكون بعض الألفاظ المعربة ثقيلاً في الاذن فهذه مسألة لا يعتد بها كثيراً ، لأن الأذن تألف بالممارسة أغرب الاسماء . والدليل على ذلك أننا لا نستثقل اليوم ألفاظ كرويا وباذنجان وانيسون ونرجس ونيلوفر وعشرات من أمثالها وكلها معربة قديماً . بل لانكاد نستثقل لفظة بطاطس وبندورى وطماطم وهي أشد

وقعاً على الأذن من لفظة الكهوَر التي لم ترق الفاضل الأديب الكبير أحمد أمين على ماصرح به في احدى مقالاته المنشورة في مجلة « الرسالة » وعلى حين أن لفظة الكهور هذه لازمة لنا في علم الجويّات ، وهي أخف على السمع من مئات من الالفاظ العلمية الاخرى ، بل ان هذه اللفظة (وأقول ذلك تفكهاً) يمكن استعمالها في الأدب والشعر اذا وضعت حيث يجب أن توضع كما في البيتين الآتيين وهما من قصيدة لي عنوانهــا « حنين الى القاهرة » :

أين الكهوَرَ في جوّ الشآم اذا ... كانون هاج أعاصيراً تنادينـــا
من رائق الجو في مصر وقد نسمت ... ريّا تداعب في الروض الرياحينا

ولا يظنن أننا وحدنا نشكو ثقل بعض الالفاظ العلمية وصعوبة التلفظ بها . فنحن والاوربيون في ذلك سواسية ، لأن لغاتهم كلغتنا لا تهضم في بادئ الأمر تلك الألفاظ ، لكن كثرة استعمالها تنتهي الى جعلها قابلة للهضم فلنا اذن أسوة فيهم .

هذا بيان موجز في الوسائل التي اتخذها العلماء الاوربيون لوضع ذلك العدد العظيم من الاسماء للمسميات النباتية . وهذه هي الطريقة التي أرى وجوب اتباعها لنقل تلك الأسماء الى العربية . وأظن أنه لم يسبقني أحد من كتاب العرب الى ايضاح هذه الطريقة على الوجه الذي جلوتها به . وهي التي يجب اتباعها في ايجاد المصطلحات العلمية في العلوم السائرة كالحيوانات ومنها الحشرات كالزراعة والطب وغيرها ، وخلاصتها أولاً تحري الالفاظ العربية الاصيلة والمعربة قديماً في كتب اللغة ، واستعمالها للدلالة على مايقابلها من الالفاظ العلمية .

ثانياً : ترجمة كل ماله معنى سهل الترجمة من الصفات والموصوفات .

ثالثاً : تعريب ماينسب الى شخص أو مدينة أو كورة أو غير ذلك من الاعلام ، وكذا كل ما يرجح ادخاله على حاله في متن اللغة كالراديو والفلم وأشباههما .

وهنالك طرائق غير ماذكرت ، يمكن الرجوع اليها في بعض العلوم كعلم الحشرات مثلاً . فمن المعلوم أن الحشرات آلاف مؤلفة ، وانه ربما أفنى المرء عمره في درس أنواع رتبة واحدة من رتبها . وقد قلت في احدى مقالاتي انني أعرف عالماً أوربياً اختصاصياً برتبة مغمدات الاجنحة سلخ عشرين سنة من عمره وهو مكب على أنواع هذه الرتبة درساً وتنقيباً ولما ينته بعد . وآخر لم يتناول من هذه الرتبة سوى فصيلة واحدة لا يتجاوزها الى غيرها من الفصائل . ومن المعروف أن لهذا الجيش الجرار من الحشرات أسماء علمية . لكنه ليس لعدد كبير منها أسماء باللغات الاوربية حتى اللغات الكبيرة منها . ونحن لا نحتاج الآن الى وضع أسماء لغير ما يهمنا من الحشرات ، أي لغير التي لها تأثير في صحة الانسان وفي مرافقه الاقتصادية . فالحشرات التي تؤثر فينا وفي زروعنا لا تتجاوز اليوم بضع مئات . وأمامنا طريقتان في ايجاد أسماء لها : فالاولى الرجوع الى أصل الكلمة العلمية وترجمة معناها ، اذا كان لها معنى سهل الترجمة ، أو تعريبها اذا كانت منسوبة الى أحد الاعلام ، وهي الطريقة التي تكلمت عليها باسهاب في النبات . والطريقة الثانية اضافة الحشرة الى النبات الذي تستولي عليه كأن يقال سوسة الفول وذبابة البرتقال وخنفساء الحنطة وفراشة الدقيق الشهباء وقملة الزيتون وبقة الخطمي وقمّع ساق التفاح وأرقة القطن الخ . وهذه الطريقة أسهل من الاولى ، وأدل على نوع الحشرة وأضرارها . وهي متبعة في اللغات الأوربية لكثير من الحشرات وان كانوا يعدونها غير علمية . ومن المعلوم أن اتباعها يتعذر كلما كان للنبات الواحد حشرات عدة تفتك به . ومع هذا فقد سهل عليّ العمل بها في « معجم الالفاظ الزراعية » فيما يتعلق بجميع الحشرات التي يهمنا وضع أسماء لها .

ومن الشواذ نقل المصطلحات الكيماوية فهي وان كان لها معان يمكن

ترجمتها لكن كثيراً من العلماء يرون وجوب تعريبها وهو الأصلح في نظري فنقول كبريتاة وحامض كبريتو وحامض كبريتيك وهلم جرا لأنه من الصعب ترجمة الادوات العديدة التي تضاف على أول الاسم أو على آخره فتقلب مدلوله الى مادة جديدة . ومن الشواذ أيضاً اشتقاق أفعال ونحت كلمات جديدة لاغنى لنا عنها وان كان الاشتقاق والنحت سماعيين . ولا يجوز أن تجمد اللغة لان قدماء النحويين أو اللغويين أفتوا بانه لايجوز لأحد أن يشتق أو ينحت . ولو عاش هؤلاء في أيامنا هذه واطلعوا على العلوم الحديثة وما تستلزمه من الافعال والاسماء لكانوا أكثر تساهلاً في هذا الموضوع . ومن الأمثلة على الافعال المشتقة حديثاً سلفر أي عالج بالسلفور وبرعم أي طعم بالبرعم . ومن الأمثلة على الالفاظ التي نحتوها أخيراً تحتربة من تحت التربة وهي طبقة من التراب تكون تحت الطبقة السطحية التي يتناولها المحراث الخ .

واذا رجعنا الى التاريخ نجد أن الذين نقلوا كتب العلوم القديمة الى العربية ، واضافوا الى لساننا مصطلحات عديدة لتلك العلوم ليسوا بلغويين ولا نحويين ، بل هم أناس هضموا تلك العلوم ، وأخضعوا اللغة لاغراضهم ، فنمت وازدهرت . ومن هؤلاء ثابت بن قرة الحراني وسنان بن جابر الحراني والطوسي وابن الخصي والنسطوري وحنين بن اسحق وابن ماسويه وابن وحشية وابن البطريق وقسطا بن لوقا البعلبكي والحجاج بن مطر وغيرهم . وعندما بدت حاجتنا الملحة الى وضع الالفاظ العلمية الجديدة منذ أوائل القرن الماضي الى اليوم لم ينبر لها أو لم يبرز فيها سوى من جمعوا بين العلم واللغة كأحمد ندي وعلي رياض وأحمد حمدي الجراح وفان ديك ويوحنا ورتبات وجورج بوست وبطرس البستاني وبشارة زلزل ويعقوب صروف ونفر من المستشرقين مثل فريتاغ ولين ودوزي وغير هؤلاء . أما اذا استعرضنا الاحياء الذين يعملون في انماء ثروة اللغة العربية نجد أن جلهم رجال اختصوا بفن من الفنون علمياً وعملياً ، فجعلوا يبحثون عن الالفاظ المتعلقة به ،

فيتيسر لهم الوصول الى ما يبتغونه او الى بعض ما يبتغونه . والخلاصة أن حاجة اللغة العربية الى المصطلحات العلمية لايسدها سوى الذين أشرت اليهم في بدء هذا المقال ، وهم الذين جمعوا بين الاختصاص باحد العلوم ، واتقان قواعد اللغة العربية والاطلاع على لغة واحدة على الاقل من لغات أوربة الفنية بالعلوم والفنون . اما أن نعهد الى النحويين واللغويين بوضع ألفاظ في الطب والزراعة والرياضة والفلك والحيوان والنبات والحشرات وأشباهها ، فمثله كما قال الدكتور يعقوب صروف رحمه الله : « تحويلك قاضياً تطبيب الابدان وطبيباً تصوير الالوان » . فعلماء اللغة يستعان بهم في مراجعة بعض الالفاظ ، وفي ضبط بعضها . ونفعهم في هذا الباب لاينكر . لكنه ليس من الصواب تحميلهم فوق طاقتهم وانتدابهم لغير ما اختصوا به . واتساع الفنون في هذه الايام لايدع مجالاً في ميدان الأعمال المفيدة لغير الاختصاصيين من العلماء . وقد انقضى الزمن الذي كان الانسان فيه لايعد عالماً مالم يدرس العلوم باسرها ومالم يصنف فيها جميعاً . ولاشك انه اذا تساند فقهاء لغتنا وعلماؤنا الاختصاصيون بالفنون الحديثة على العمل معاً في سبيل هذه اللغة قطفنا من تساندهم أينع الثمار وأزكاها .